

The Social Anthropology of the people's functions in Poems of "Khalil Mutran"

Article Type: Research

Seyyed Fazlollah Mirghaderi¹, Hossein Kiani², Shahla Jafari³

¹Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University,
Faculty of Literature and Humanities, Iran, Shiraz.

²Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shiraz
University, Faculty of Literature and Humanities, Iran, Shiraz.

³Ph.D. in Arabic Language and Literature, Shiraz University, Faculty of Literature
and Humanities, Iran, Shiraz.

Abstract

Literature has a close relationship with society and its concoction such as individuals' behavior and functions. Therefore, not only is a literary work regarded as a pure artistic creation, but also it is a human activity with a social function. Paying attention to the role of literature in re-creation, criticism, and also its dynamics in relation to society, makes this functions more noticeable. When we consider social anthropology as the science of studying humans' functions and their social relationships in a special structural format such as religious and political organization, family system and other systems; parallel to that, literature is a human construct that depicts society and the functions of individuals. Such an approach provides an appropriate field for anthropological researchers to gain deep knowledge of the structure of society and the social functions of people. It is not hidden from the view of "Khalil Mutran" who was interested in drawing Arabic poetry into issues related to society and human social roles. Based on this, through the approach of social criticism and in light of qualitative content analysis, this article intends to go through a social anthropological study of the roles of people in Mutran's poetry. One of the most important findings of the research is that the roles of people in the society that Mutran spoke about were represented by involvement in the sphere of authority of the ruler out of fear and ignorance. This by itself prompted some people to raise the status of the ruler and give it legitimacy. On the other hand, people there did not have any will or determination to adopt rejection or to change reality, and they adapted to the current situation which by itself resulted in the stabilization of the ruling system prevailing in that period.

Keywords: Social Anthropology, Function, Position, The People, Khalil Mutran.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية لأدوار الشعب في شعر مطران

نوع المقالة: أصيلة

سيد فضل الله ميرفادري^١، حسين كياني^٢، شهلا جعفري^{٣*}

١. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إيران، شيراز

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيراز، إيران، شيراز

٣. خريجة مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيراز، إيران، شيراز

تاريخ قبول البحث: ١٤٠٢/١١/٠٧

تاريخ استلام البحث: ١٤٠١/٠٩/٢٩

الملخص

إنّ الأدب لا يظلّ بمنأى عن المجتمع وما يحمل في طياته من أدوار الأفراد وسلوكياتهم الاجتماعية. كما أنّه لا يعتبر صياغة فنية خالصة وإمّا له وظيفة اجتماعية. ولما كان العمل الأدبي إبداعاً أو نقداً لا يخلو من هذه الوظيفة ولا يجوز له أن يتخلّى عن مسؤوليته الإنسانية إيماناً منا بفعاليتها الأدب في الواقع الاجتماعي. ولما كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تقوم بدراسة أدوار آحاد الناس وعلاقاتهم الاجتماعية في إطار بناء خاص كالتنظيم السياسي أو الدّيني أو نظام الأسرة وغيرها من النّظم؛ والأدب باعتباره نتاجاً إنسانياً يعبر عن المجتمع وسلوكيات الأفراد، فقد شكّل مجالاً خصباً لكثير من دارسي الأنثروبولوجيا لينهلوا من عمق معرفة أدوار الأفراد الاجتماعية. الأمر الذي تجلّى في ناظري خليل مطران الذي اهتمّ باستدراج الشعر العربي في القضايا المتعلقة بالمجتمع وأدوار الإنسان الاجتماعية. انطلاقاً من هذا يقوم المقال، ومن خلال منهج النقد الاجتماعي وعلى ضوء تحليل المحتوى التّوعوي بدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية لأدوار الشعب في شعر مطران. وقد توصّلت هذه الدراسة لنتائج منها أنّ أدوار الشعب في المجتمع الذي تحدث عنه مطران تمثلت بالانخراط في دائرة سلطة الحاكم خوفاً وجهلاً. ممّا دفع آحاد الناس إلى الاستعلاء لمكانة الحاكم وإضفاء الشرعية لها؛ هذا، ومن جهة أخرى لم يكن لدى الشعب أيّ إرادة وعزيمة لنهج سلوك الرّفص أو تغيير الواقع سوى أنّه قام بالتكيف مع الوضع الراهن؛ الذي أدّى إلى تثبيت نظام الحكم السائد في تلك الفترة.

الكلمات الرئيسية: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الدّور، المكانة، الشعب، خليل مطران.

المقدمة

حدث في عصر النهضة تغيير جذري في تحصيل المعرفة عن أمور الإنسان وقد كان أثره الكبير في تطوير المعرفة الأنثروبولوجية؛ الأمر الذي جعل المؤرخ الفرنسي "ميشيلية" يصف هذا العصر «بأنه كشف للإنسان وممارساته الاجتماعية والثقافية.» (زكي، ١٩٦١: ٤) وفي هذا دلالة واضحة على موضوع الأنثروبولوجيا وتطوير موضوعاتها وفروعها. حيث إنَّ الثورة العلمية والثقافية في هذا العصر قد أعربت عن أمس الحاجة إلى ظهور فرع جديد من المعرفة لكي يُنظر من خلالها إلى الإنسان وأدواره الاجتماعية والثقافية نظرة أدقّ وأشمل؛ وبذلك ظهرت الأنثروبولوجيا كعلم مستقل لتقوم بهذه المهمة.

واللافت أنّ العقلية العربية قد نضجت في عصر النهضة وتأثرت بمفاهيم جديدة. فقد أسهم الإنتاج الأدبي إسهاماً كبيراً في متابعة الفكر العالمي والأدب الإنساني. فيتعرف الأنثروبولوجي عبر الأدب -باعتباره نتاجاً للواقع الإنساني- على أدوار الأفراد وممارساتهم الاجتماعية وبالتالي ثقافة المجتمع؛ والأدب بدوره يشكّل مادة وموضوعاً لبحث الأنثروبولوجيا.

لقد لمع في هذه الحقبة اسم "خليل مطران"؛ فهو يؤمن بضرورة التجديد في الشعر؛ فقد عدّه نقّاد الشعر والأدب، زعيم التجديد إلّا أنّهم اختلفوا في تحديد أوجه التجديد ومناحيه لمطران: فمنهم من يرى هذا التجديد في اتّخاذ الشكل القصصي في بناء غالبية القصائد؛ كما اقتصر عند بعضهم الآخر في الوحدة العضوية للقصيدة العربية؛ أو كان تجديد مطران عند طائفة أخرى قائماً على أساس تناوله للموضوعات الرومانسية. بيد أنّنا نرى أنّ التجديد لا يقتصر على هذه الأمور التي سبق ذكرها. وفي هذا ما يعزّز القول بأنّ لفظ التجديد كلام شامل عام؛ لذا لا يمكن حصره في مواضيع خاصّة فحسب، بل يمكن استقصائه واستدراجه في نواحٍ أخرى وهي القضايا المتعلقة بالإنسان وسلوكياته التي تتسم بالدراسات الأنثروبولوجية.

لاشك أنّ حياة مطران مرّت ببرهة زمنيّة خاصة، حملت تغييرات جذرية على المستوى العالمي

عامة، وعلى صعيد المنطقة العربية خاصة -ولا سيّما في مصر ولبنان- ومنها وقوع الحرب العالمية والاستبداد العثماني اللذان قد أدّى إلى اهتمام مطران بالإنسان، والمجتمع الذي عاش فيه. إضافةً إلى ذلك، فإنّ الأنثروبولوجيا قد شهدت في فترة الحرب العالمية الثانية تطوير موضوعاتها وأهدافها إلى درجة أصبح فيها فهم الإنسان ومجتمعه وخدمة قضاياهما، أساسها الأول. (فهم، ١٩٨٦: ٩) ومن الطبيعي أن يقوم مطران بإدراج هذه المفاهيم في خضم قصائده التي تحمل الطاقة أنثروبولوجية.

وكثيراً ما نرى مطران أنّه تحدث في أشعاره الاجتماعية عن تصرفات الناس وسلوكياتهم الاجتماعية وهو يرى أنّ الشعب هو المسئول الوحيد تجاه مصير بلاده؛ وهذا يمثل امتداداً للتفكير الأنثروبولوجي الاجتماعي لدى الشاعر، كما يوقّر إمكانية معرفية عميقة بأدوار الأفراد في إطار بناء خاص كالتنظيم السياسي أو الأسري وغيرها من النظم؛ إذ إنّ الدور أو الوظيفة من المفاهيم الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ والمعرفة العميقة بالمجتمع لا تتحقق إلّا بتبيين أدوار الأفراد الاجتماعية؛ لأنّ الإنسان هو الغاية الأساسية في عملية التغيير الاجتماعي إيجابياً أم سلبياً.

الأمر الذي يدفعنا إلى الحديث عن أدوار الشعب (في إطار البناء السياسي) في شعر مطران بشيء من التفصيل وذلك بالاعتماد على منهج النقد الاجتماعي وفي ضوء تحليل المحتوى النوعي والذي يلائم تحليل التصوُّص الأدبية ذات طاقة الأنثروبولوجيا الاجتماعية معتمداً على أهمّ اتجاهاتها يعني الاتجاه البنائي-الوظيفي؛ وهو من الاتجاهات الجديدة للأنثروبولوجيا الاجتماعية ويهتم بدراسة الأدوار الاجتماعية لأفراد المجتمع قاصداً التوازن والانسجام في بناء خاص. إذن تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. كيف تتجلى أدوار الشعب الوظيفية في شعر مطران؟

٢. ما هي حصيلة قيام الشعب بالأدوار هذه، من منظار مطران؟

خلفية البحث

لقد تناولت الدراسات أشعار مطران من شتى النواحي؛ إلّا أنّنا نؤكد في دراستنا على تناول الجانب الاجتماعي ومن أهمّ هذه الدراسات ما يلي:

رسالة "بررسی شعر داستانی در دیوان خلیل مطران" لإيران پژوهی (١٣٨٩ش) تطرقت إلى دراسة الشعر القصصي عند مطران بعد أن قام الباحث ببيان مفهوم الشعر القصصي ومساره

التاريخي في الأدب العربي وشرح بعض الأشعار القصصية لشاعر القطرين. ثم وصل إلى أن مطران يرمي في إنشاد الشعر القصصي إلى مناهضة الاستبداد وإصلاح المجتمع وكذلك تكريم شأن المرأة ومكانتها.

رسالة غلامي (١٣٩٠ش) الموسومة بـ "بازتاب زندگي مردم در شعر محافظين: أحمد شوقي، خليل مطران و حافظ ابراهيم" عالجت أهمّ المضامين الاجتماعية التي برزت بروزاً رئيساً في شعر هؤلاء الشعراء؛ وهي العلم، والجهل، والفقر، والظلم والعدل. حيث دلّت النتائج على أنّ اهتمام الشعراء الثلاث بهذه المفاهيم كان متعلقاً بسيطرة الأجانب على بلادهم.

مقالة "الشعر القصصي عند خليل مطران في مرآة التقد الاجتماعي" لقاسمي وفرامرزي (١٣٩٦ش) تهدف إلى كشف أهمّ المضامين التي تناولها مطران في شعره القصصي وكذلك الأهداف التي توخاها الشاعر ورائه. درس المقال بعض الجوانب التاريخية والاجتماعية لشعر مطران القصصي؛ حيث وصل إلى أنّ الشاعر في شعره هذا، يتصدى لمشاكل الناس وشؤون المجتمع ولقد صبّ اهتمامه في الدعوة إلى الإصلاح. إنّ ما لفت نظرنا في هذه الدراسة هو الإشارة العابرة إلى صمت الشعب أمام الظلم هادفة إلى يقظة الأمم تجاه مصير المجتمع.

سليمان العيادية (٢٠١٢م) في رسالته "الاتجاه الإنساني في شعر خليل مطران" تطرّق إلى القضايا المتصلة بالجانب الإنساني الذاتي في شعر مطران مثل البحث عن الذات، والمرأة، والحنين إلى الوطن والأهل وكذلك القضايا الإنسانية العامة كالعدالة الاجتماعية والدعوة إلى الثورة ضدّ المستعمر والحثّ على الفضائل. ولقد ذكرت الدراسة في نتائجها إلى أنّ مطران يدعو إلى التأخي والتسامح وما إلى ذلك من قيم سامية من شأنها الارتقاء بالجنس البشري.

عبدالسعدي وأحمد سالم (د-ت) اهتمّا في مقالتهما المعنونة بـ "الاتجاه الاجتماعي في الشعر القصصي عند خليل مطران والشاعر القروي" بالتعرف على قصص الفقر ونقد الأعراف الاجتماعية عند هذين الشعارين. تؤكد النتائج أنّ مطران قد كرّس هموم الناس وأوجاعهم في

قصصه الشعرية مستهدفاً فيها العظة والاعتبار، ولم يكن القروي فيها أقل شأنًا، فقد كرسها للهدف نفسه داعياً فيها إلى الوقوف في وجه الظلم السياسي والاجتماعي. ومن أهمّ البحوث والدراسات التطبيقية التي اختصت بالأنثروبولوجيا وفروعها الجديدة وما ينطوي تحتها من المفاهيم:

درس جعفري وآخرون (١٤٠١ش) مظاهر الأنثروبولوجيا الاجتماعية في قصيدة "مقتل بزرجهر" لخليل مطران مع إلقاء الضوء على أدوار الشخصيات الرئيسة كالحاكم، والمحكومين، والوزير وابنته. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أنّ سلطة الحاكم-عبد الحميد العثماني- لها تأثير عميق في تحديد الأنماط السلوكية بين الأفراد؛ فتمثلت بشكل مضاد للقيم.

حاولت صلعي وغمزاني (٢٠٢٠م) دراسة "تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة" وذلك بعد وقوفهما على مفهوم الأنثروبولوجيا وأبرز اتجاهاتها النظرية، وأظهرت النتائج أنّ عناصر الثقافة الشعبية في الرواية هذه، تتجلى في العادات والمعتقدات الشعبية؛ كما يعتبر الفقر، والجهل، وسيطرة الرجل على المرأة من الظواهر الاجتماعية التي تحاكي واقع المجتمع الريفي في الجزائر.

تأسيساً على ماسبق وبالتنظر إلى الدراسات المتعلقة بمادة البحث أي شعر مطران نجد أنّها تناولت المضامين الاجتماعية العامة دون التفاتها إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو مفاهيمها الأساسية. أما الدراسات التطبيقية فمعظمها عاجلت العادات والتقاليد السائدة في مجتمع ما؛ كأنّ دارسيها ركّزوا على المدرسة الأمريكية التي تؤكد على امتزاج الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية دون الاعتماد على الفرق بين هذين الفرعين من الأنثروبولوجيا؛ بيد أنّ مقالة جعفري وآخرين (١٤٠١ش) ترتبط بموضوع بحثنا رغم أنّها أشارت إلى دور الشعب، إلا أنّها اقتصرت في قصيدة واحدة وبصورة عابرة على الحاكم العثماني-عبد الحميد الثاني-. إنّ ما نستهدفه هو تقصّي أدوار الشعب في أشعار مطران الاجتماعية على أساس المدرسة البريطانية التي تتمثل الأنثروبولوجيا الاجتماعية فيها كقسم مستقل بذاته وهي تدرس الأدوار الاجتماعية للإنسان في إطار بناء خاص كالبناء السياسي والأسري والديني وغيرها من النظم.

الإطار النظري

إنّ مفردة الأنثروبولوجيا مشتقة من مقطعين: "أنثروبوس" بمعنى الإنسان و"لوجوس" معناه الدراسة أو العلم؛ وتعني العلم الذي يدرس الإنسان. رغم أنّ هناك تضارب آراء حول تاريخ ظهور الأنثروبولوجيا في عود جذورها إلى اليونانيين القدامى أو المصريين أو الرومانيين إلا أنّ أصولها المنهجية وفروعها المتعددة واتجاهاتها المعاصرة ظهرت في عصر النهضة؛ حيث برزت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّها تهمّ بدراسة الأدوار الاجتماعية للأفراد في نظم اجتماعية كالأسرة والتنظيم السياسي أو الديني وغيرها من النظم.

بناء على هذا فإنّ الدور أو الوظيفة يعدّ من المفاهيم الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية في تحليل الأداء الوظيفي للنظم الاجتماعية أو ممارسات الأفراد حسب مكانتهم الاجتماعية. من جهة أخرى؛ تحدّد الأدوار كيفية التعامل مع الآخرين أو بالأحرى فإنّ الدور عبارة عن مجموعة من الممارسات الاجتماعية والسلوكية المرتبطة بواجبات الأفراد في بنية المجتمع بوجه عام أو في بناء اجتماعي معيّن بشكل خاصّ وكذلك «الطريقة التي يتفاعل بها شخص مع الآخرين ومن الأهمية فهم الأدوار والمراكز التي يتكوّن منها البناء والتي تدمج في الشخصيّة لكي يتمّ فهم طبيعة السلوك الاجتماعي في الموقف». (السهوري، ٢٠٠٩: ٥٩)

من أهمّ الاتجاهات الملائمة للأنثروبولوجيا الاجتماعية هو الاتجاه البنائي-الوظيفي إذ يستند إلى «مفهوم "البناء" و"الوظيفة" في تحليلها للظواهر الاجتماعية؛ حيث يشير المفهوم الأول إلى الجزء أو النظام الذي يتكوّن منه أي مجتمع. أما الوظيفة؛ فيشار بها إلى الدور أو الإسهام الذي يؤديه الأفراد». (الحوات، ١٩٩٨: ٩٦) وكان رائده "رادكليف براون" وهو يرى أنّ كلّ الأدوار الإنسانية يجب أن تفسّر في ظلّ البناء الاجتماعي.

تتداخل هذه المصطلحات المذكورة بعضها البعض؛ إذ إنّ التحليل البنائي الوظيفي يوجّه اهتمامه كذلك نحو المعنى المطروح في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث يمكن القول «إنّه يكافح

من أجل الإجابة على هذا السؤال: ما هو الدور الذي يلعبه الأفراد في حيّز البناء الاجتماعي ككلّ.» (تيماشيف، ١٩٨٠م: ٣٣٨) وفي مجال البناء الاجتماعي واستكمالاً لمفهوم الدور نجد مفهوماً رئيساً آخر ألا وهو: المكانة التي تعتبر «مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية.» (لينتون، ١٩٦٧م: ٣٤٨)

تحليل أدوار الشعب في شعر مطران

كما قلنا أنّ الدور يعدّ من الركائز الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية والذي يرتبط بالبناء الاجتماعي وهو الإسهام الذي يؤديه الأفراد في نظام خاص. بما أنّ الأدوار هي المساهمة التي تقدّمها عناصر معينة في بناء خاص، فلا يمكن تحليل أيّ دور إلا بالنسبة إلى العناصر الأخرى؛ وبما أنّ كلّ فرد يعتبر جزءاً أساسياً في تكوين البناء الاجتماعي «فهو يسعى لإشباع حاجاته من خلال الخيارات التي تكون مطروحة أمامه؛ بناء على ذلك تبرز أدواره ومكانته وتوقعاته الاجتماعية التي أسهمت بشكل كبير في تشكيل البناء الاجتماعي.» (كريب، ١٩٩٩م: ١٧١) على هذا الأساس وعند الحديث عن البناء السياسي (في شعر مطران) لا تنفصل أدوار الشعب عن أدوار الحاكم والغرض الأساسي يستند إلى فكرة رئيسة كانت مؤدّاه أنّ أدوار الشعب تكون جنباً إلى جنب لأدوار الحاكم وتأتي استكمالاً لها؛ لأنّهما يتمّ اعتبارهما بمثابة مجموعات تكون أجزاءهما كلّها متناسقة وذات علاقة متبادلة. إضافة إلى هذا أنّ معرفة الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الشعب هي المحرك الأساس للكشف عن العلاقات القائمة والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث بين أفراد المجتمع؛ هذا من ناحية الأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ ومن ناحية «الاتجاه البنائي، الوظيفي تعتمد دراسة أيّ بناء اجتماعي على دراسة الأدوار الموجودة بين أفرادها وكذلك علاقاتها كأجزاء متفاعلة للنسق الاجتماعي والتي تكون كلاً متكاملًا ونسقاً محدّداً وتسهم في تأليف البنية الأساسية لذلك المجتمع.» (الجبوي، ١٩٨٢م: ١٠٤) فإنّ هذا المنحى يسير بنا أن نضع موضع البحث عن أدوار الشعب في المجتمع الذي عاش فيه مطران.

لقد وجّه خليل مطران جلّ اهتمامه إلى دور الشعب؛ ذلك الدور الذي يجب تفسيره في ضوء دور الحاكم في البناء السياسي، حينما يعتقد أنّ الشعب هو الذي يمنح الحاكم مكانة شامخة واهباً إيّاه القدرة ولقد كان القصد منح الطبقة الحاكمة قوة ودعماً «وإنّه لخطأ شائع القول بأنّ قوة

الحاكم تستطيع أن تحكم وحدها» (أحمد رشوان، ١٩٩٧م: ١٠٨)؛ وبالتالي من المهم إبراز هذه الحقيقة أنّ الحكم يتمّ استمراره بتأييد الشعب وإضفاء الشرعية له:

قزمتهم هم نصبوه عالياً وجثوا بين يديه فاشمخروا
ضخموه وأطالوا فيئنه فترامى يماً الأفاق فوجرا
منحوه من فواهم ما به صار طاغوتاً عليهم أو أضراً

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٣: ٥٠)

إنّ هذه الأبيات تبين لنا أنّ هناك قداسة مضمرة حاضرة في أذهان الشعب أتجاه مكانة الحاكم، حيث قام الشعب بإعلاء شأن الحاكم في ذلك المجتمع ممّا أدى إلى أن يخلق لدى الحاكم شعوراً بالسمو وتبرير النفس بالحفاظ على حالة القبول والتأييد من جانب المحكومين، ويُعرف هيمنته الطاغية كحق معترف به ممّا يسعى إلى زيادة سيطرته عليهم وتوطيد استمرارها. فيبدو في ذلك أنّ الشعب هو المسبب الرئيس في تكوين هذه الهيمنة الطبقية والهرمية في علاقاته مع الحاكم آنذاك.

فليس من الغريب أن يوافق الشعب في مجتمع مطران سلطة الحاكم موافقة صارخة، وإنما هي نتيجة ممارسة الضبط الاجتماعي وأساليبه التي يسلطها الحاكم على هذا الشعب المنقاد؛ حيث يفضى هذا الهاجس القوي إلى الخوف من السلطة. فإن فكرة السلطة تستلزم وجود شخص معني مطلوب منه الخضوع والطاعة للغير (عرب يوسف آبادي، ٢٠١٨: ٢٢١)، ممّا يجعل الشاعر يتابع قوله في قصيدة أخرى بعنوان «الستور الكبير في الصين» معرباً عن رأيه أتجاه دور الشعب الضئيل بأنه لم يكن بإمكانه أن يدافع عن نفسه ولو كان في حصار منيع أو برج مشيد مادامه ضعيفاً:

ماذا يُفيد السور حول ديارهم وقلوبهم فيها ضعاف هرب...

لا يعصم الأمم الضعيفة فطرةً إلا فضائلُ بالتَّجاربِ تُكسب

(مطران، ١٩٤٩، ج ١: ٦٢)

ومّا يجب الانتباه إليه في خضم القيام بالأدوار هو أنّ الشعب، ولاسيما الشعب المصري، يستفيد من التجارب السالفة ويجعل ماضيه الأصيل وحضارته العريقة نصب عينيه. والحق أنّ الخوف من الواقع لا يكون إلا حصيلة الاستياء من الأفق الفكري للشعب الذي ليس له المأمّ بكامل قواه الكامنة التي توصله إلى فهم حركية الواقع الاجتماعي بأدق تفاصيلها وبالتالي الوقوف أمام وجه الظالم. وكلّ هذه الأشياء تمخّصت عن رؤية اجتماعية عاجزة في معظمها عن استيعاب الواقع الاجتماعي. ولا ريب في أنّ الشاعر لفت أنظار أبناء شعبه إلى تغيير نمط التفكير وبذل الجهود المضيئة لاستخدام التجارب بدلا من الخوف والهروب أنّحاء المستبدين.

ولم يقتصر الأمر عند هذا، بل نرى مطران يربط الماضي بالحاضر مذكراً الأجداد الماضية لأبناء شعبه وقد تزلزلت معالمها مشيراً إلى أدوارهم الخاطئة حيال السلطات الحاكمة واعتداءاتها وهذا ما يفسّر اتساع دائرة رغبات الحاكم؛ ممّا يؤول إلى تخاذل الشعب وممّا ذكره الشاعر أنّ الشعب هو السبب الأساس في مساعدة الحاكم على فرض هيمنته واستبداده:

يا عبرة الدهر جاوزت المدى فينا حتى لبأنف أن ننعاه ماضينا

وانثلّ من عزنا ما عزّ مطلبه واندكّ من مجدنا ما شاد بانينا...

فاز القويّ علينا في تضاولنا والحقّ أعلى ولكن ليس يُغينا

(مطران، ١٩٤٩، ج ١: ٦٤)

أمّا الهدف الذي توخاه مطران كان يكمن في توعية الشعب وإيقاظه من الغفلة والقيام بأدواره الاجتماعية أو السياسية التي ظلّت مغيبة عن الأذهان. وكان من نتاج ذلك أن ينادي بإعادة الاعتبار لوظيفة الشعب دون انفصال علاقاته عن المجتمع وأبنائه. ومن يرجع إلى شعر مطران يجد أنّ هناك هوة بين الأدوار الوظيفية للشعب وبين أدواره الحقيقية. يضاف إلى هذا ظهور تلك اليقظة نحو العودة إلى الحضارة والجذور العريقة؛ إذ إنّ «النزوع نحو الماضي قد غدا من أهمّ الميزات التي تطبع عليه الأنثروبولوجيا الاجتماعية وذلك بميسم خاص وهو أنّ الكثير من الأدوار التي تمت

إلى الأفراد بصلة، تتوالد من رحم الحضارة العريقة نفسها.» (merry,2005: 120) انطلاقاً من هذه الرؤية فإنّ الوقوف على الخلفيات التاريخية والفكرية هي التي يستمدّ منها الشعب مبررات وجوده واستمراره وطرق نشاطاته الاجتماعية كما سيتيح له فهم كثير من الممارسات والتوجهات الراهنة. تبرز رؤية مطران الأنثروبولوجية في قصيدة "في ظلّ تمثال رعمسيس" حيث يعتمد على دور الشعب مكرساً على تأثيره في تفعيل السلطة؛ معتبراً آياه محوراً أساسياً في منظومة سياسية للعلاقات الاجتماعية، ملقياً مسؤولية فساد الحكم على الشعب؛ إذ للشعب دور كبير في تدعيم الأنظمة الحاكمة وعلى رأسها تبني الحاكم مقاليد الحكم وما يترتب على ذلك من الحصول على مكانته الاجتماعية الزائفة؛ إذ إنّ الحصول عليها يتم من خلال تأييد الآخرين:

أكان منزله في المجد منزله لو رق قلباً لشيبٍ أو لشبانٍ؟...
 ألا وقد بلغت في الخافقين به مكانةً لم تكن منها بحسبان...
 مسخراً قومَه طرّاً لخدمته وما بغى، رُبّ سوءٍ محضٍ إحسان...
 بحيث أب وكلّ الفخر حصّته ولم يؤبّ غيـرُه إلا بحرمان

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٢: ١٧٧ و ١٧٨)

إنّ هذه الأبيات مفعمة بروح اللاتوافق في العلاقات الاجتماعية، حينما نرى أدوار الشعب تعدّ كاستجابة لأدوار الحاكم وتأييداً لها ممّا يجعل حكر السلطة على الحاكم مشروعاً أو شرعياً؛ والذي كان مؤداه فهم السلطة كمجرد علاقة بين القوى المهيمنة والمواطنة الخاضعة أو لنقل اختزال السلطة إلى مجرد هيمنة طبقية وفي مثل هذه الحالة يجب أن تسلّم أنّ «السلطة هذه تُمارس بدلاً من أن تُمتلك وأنها في الحقيقة ليست الامتياز المكتسب أو الدائم للطبقة المهيمنة بل هي الأثر العام لمكانتها الاجتماعية.» (Foucault,1980: 31)

وخير دليل على ذلك أنّ الصلاحيات المزعومة التي استولت على الحاكم آنذاك، اتسعت دائرتها بأدوار المحكومين دون حدود يُعترف بها؛ ممّا أدى إلى تبرير سيطرته واستقطاب ما أمكنه من القوى والأدوات لممارستها تجاه المواطنين. والأمر ينتهي إلى تكريس الحكم واستقرار العلاقات المعتمدة على عدم المساواة في أدوار الحاكم حيال الشعب.

إنّ غياب الثقافة عند جمهور الشعب في زمن مطران والجهل الذي توارثه عبر الأجيال وترسخ في الأذهان؛ الذي يستدعي غياب الديمقراطية وانعدام المشاركة السياسية للشعب، حيث يجعله غير قادرٍ على تحمّل مسؤولياته الاجتماعية والسياسية. وهذا يؤدّي إلى القيام بأنماط السلوك غير السويّ ومن ثمّ حدوث اضطرابات في العلاقات المستقرة بين الأفراد داخل البناء السياسي. وبالتنظر الأنثروبولوجي إلى شعر مطران يُلاحظ أنّ من أهمّ علامات تقليص أدوار الشعب الحقيقية والتي تتجسد عند الشعب إهمالاً وتغافلاً وتخاذلاً عمّا يفعل الحكّام المستبدون ولم يكن لديه أيّ عزيمة لإصلاح الأمور. وليس من الغريب أن يسلّط داء اليأس على الشعب؛ ممّا يعزّز تمزيق أو اختراق نسق الأدوار الوظيفية وتمثاتها الاجتماعية؛ إذ لا يحمل الشعب بين طيات طاقاته الاجتماعية والثقافية، أبعاداً تغيير الواقع. وخير ما نستدلّ به هنا، هذه الأبيات التي ينشدها مطران:

لولا تغافلنا لولا تخاذلنا لولا تواكلنا تالله ما اقتحموا

يأسُ الجماعات داءً إن مملّكها فهو التحلّل يتلوه الردى العمم...

عودوا إلى سير التاريخ لا تجدوا شعباً قضى، غير من ضلّوا الهدى وعموا

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٢: ٧٢)

والمأمل في هذه الأبيات يدرك تراخي الشعب في تلك الفترة في القيام بأدواره الحقيقية ممّا يؤدي إلى تصديه لروح الخنوع والقنوط. فليس لأحد أي دور في ضرورة نشر الوعي بين أبناء ذلك المجتمع كما لم يكن لديه أية مقدرة على التغيير الظروف أو الرفض من هذا الواقع البشع. ثمّ أخذ مطران يجري الحديث عن هذه الأزمة بوصفها خطباً قد حلّ بالشعب؛ ممّا يدعو إلى اكتساح الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للأفراد وبالتالي إلى تدمير ذواتهم؛ كأهمّ أصبحوا أصناماً ليست

لها أيّ حراك وفعالية تجاه السلطات الحاكمة وأدوارها البشعة. والأمر كلّ يكشف عن إقصاء وتهميش دور الشعب الوظيفي:

حَطَبٌ رآه المنصِرْفُو ن كَأَنَّ أَحْيَاهُمْ صَبْنَم

رَأَوْا الذَّنَابَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَدْرَأُوهَا بِالْحِكْمِ

أَيَّنَ الْقَضَاءُ إِلَيْهِ أُر بَابُ الْمَمَالِكِ تَخْتَصِرُ مِ

أَيَّنَ الْحَقِيقَةُ؟ أَيَّنَ إِنصِم أَفُ الْبَرَى إِذَا ظَلِمَ مِ

(مطران، ١٩٤٩م، ج ١: ١٧٨)

واللآفت أنّ هذه الحالة الهلامية عند الشعب من منظور مطران تخلق للمحكومين الانشطار في أدوارهم الوظيفية وتسفر عن تثبيط الحراك الاجتماعي وتقييد أدوارهم الإيجابية؛ والسبب في تسري هذه الحالة عند الشعب، يعود إلى غياب الثقافة السياسية أو سياسة المشاركة وكذلك عدم سيادة القانون ونفسي الفساد. كلّ هذه الأمور تمهد إلى خلق مسافات بعيدة بين الأدوار الوظيفية للشعب وبين ممارساته الحقيقية؛ بالإضافة إلى أنّ انعدام العلاقات الديمقراطية للحاكم مع المحكومين يوفّر الأجواء لتجميد قيم إرادتهم الحرّة ومن ثمّ الحدّ من حركة المجتمع نحو التغيّر الإيجابي. ولم يقف مطران إلى هذا الحدّ وإتّما نراه قد ضاق الذرع من إهمال أفراد مجتمعه تجاه مستقبل بلادهم؛ فلا نكاد نراهم إلّا مذليّن وخاضعين لاستبداد الحكّام ويظهر جليّاً أنّهم أصبحوا من حماهم، هؤلاء الذين كانوا كذئاب تستولي عليهم سمة الغدر والخيانة ولا يستغلّون الناس إلّا بأشكال مختلفة وغير واضحة للعيان؛ ممّا أنتج عجزاً مزمناً حيال إنقاذ الوطن من غاصبيه وإعادة ترتيب الوضع ما بعد الاستبداد:

إن تكونوا حُماها وبنها ما لتلك الذئاب تعتمس فيها؟

أ فترضون أن همون عتيداً بعد ذاك الإباء في ماضيها؟

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٢: ٢٢٤)

فظاهر جداً أنّ هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة قد حُمّلت على الشعب حملاً يتخذ المواقف الصريحة إزاء الحاكم العاشم والقيام بالأدوار الاجتماعية لإنقاذ المجتمع من برائته والثورة عليه لتحقيق الاستقلال. فلعلّ الإشارة التي ينبغي أن نذكرها، هي إهمال الشعب في القيام بالأدوار من منظور الثقافة السياسية والتي تعني القدرة على المشاركة بفعالية في التأثير على الممارسات التي تلعب دوراً هاماً في مصير المجتمع. ثمّ يستعرض الشاعر الجذور العريقة لأفراد المجتمع في الأعصار الماضية؛ فأولئك الذين كانوا ذوي إباء وشجاعة أصبحوا اليوم متهاونين ومتمذلين أمام الحاكم الجائر؛ حيث صارت ثقافتهم، ثقافة الخضوع والانقياد والتذلل حيال السلطة.

ثمّ يلقي الشاعر مسؤولية فساد الحاكم على عاتق الشعب ويذهب إلى أنّ الدور الخاطيء لأهل المجتمع في انتصاب الحاكم المستبد عشوائياً وإسرافهم الشديد في التزلف إليه لثناؤه وابتغاء مرضاته لكلّ ما يصدر منه من الأدوار السياسية والاجتماعية والقيام بأساليب الضبط الاجتماعيّ إحكاماً لتنفيذ أوامره هو الذي أبلى الشعب بهذا البلاء وما فيه من الفساد والدّل والرضا بطغيان المستبدين:

إنّ روما جعلت نبروتها وهو شرُّ القوم ممّا كان شراً
بلغته الملك عفواً فبغى كلُّ ملك جاء عفواً راح هدرا
... عاث فيها مستبداً مُسرفاً دائب الإجمام عواداً مُصراً
لا ولا في ظلمه من عجب إنّ للظالم عند العدل وترا

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٣: ٦٩ و ٧٠)

ولا شك أنّ الحاكم قد استمدّ ركائز سلطته من إرادة الشعب وتأييده حيث يصبح ذلك، أداة مساعدة في ترسيخ أركان الحكم؛ وليس من الغريب أن يقوم بأدوار لا تلاؤم المحكومين؛ لأنّ

«الحاكم بمجرد أن يمارس سلطته على الآخرين يشعر بسموّ ذاته وبعد ممارسته السلطنة، يتولد لديه إحساس باختلافه عن أمثاله من أفراد الشعب وأتّه يتمتع بإرادة من طبيعة سامية؛ لذلك تعلقو إرادته على إرادة الخاضعين.» (ناصر، ١٩٨٢م: ٨٢ و٨٣)

دور الشعب وعلاقته بمكانة الحاكم

يؤدي مفهوم المكانة الاجتماعية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية أهمية كبرى في تحليل البناء الاجتماعي بصفة عامة والأدوار بصفة خاصة وقد يحيل الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية على مكانة اجتماعية في سلم التدرج الاجتماعي. و«المكانة الاجتماعية هي التي تعتمد إلى موقع الفرد على مستوى التسق أو المجتمع ككل.» (حجازي، ١٩٧٩م: ٤٩) بناء على ذلك وتأكيداً على أنّ مطران عاش في الفترة (التي) أو قُل في المجتمع الذي يحتلّ الحاكم مكانةً اجتماعيةً علياً أو بعبارة أخرى فإنّ مكانة الحاكم تتحدّد تبعاً لاعتبارات الشعب أو على مؤازرته الاجتماعية، فإنّ من المستحسن ومن أجل مزيد من الوضوح في هذا الصدد أن نستشفّ أدوار الشعب وعلاقاته اتّجاه مكانة الحاكم المستبد؛ على هذا الأساس تنجّه فكرة الشاعر إلى محاولة الوقوف على بعض أبعاد هذه الأدوار من خلال إضفاء الشرعية للحاكم وما ينتجّه من مكانته الاجتماعية منها الدّور الفاعل للشعب في التعظيم والخضوع أمام الحاكم ساجداً أم راکعاً، طوعاً أو كرهاً:

بنو روما سجودٌ حوله ركَعٌ راضون ما ساءَ وسراً

لو علّوا كالمِدِّ في بحرٍ طَغى ثمّ ظنّوه لعادَ المدّ جزراً

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٣: ٥٤)

إنّ هذا الأمر يفضي إلى فكرة الاستعلاء للحاكم في ذلك الوقت وهكذا آل الاستمرار في طغيانه وهيمنته على المجتمع استمراراً للانتفاع إلى تهديد الأمة. وهكذا لم تتوان السلطنة، تكريساً لمكانتها وهيمنتها، من التهشيم لكلّ التنظيمات المجتمعية؛ إذ حينما كان الحاكم بمكانة اجتماعية

متقدمة على الآخرين، كان يسهل قيامه بدوره السلطوي ويقلّ تمرّد الآخرين عليه. لأنّ من منطلق الأنثروبولوجيا الاجتماعية حينما يرتفع المركز الاجتماعي للحاكم، فالأمر يؤدي إلى ارتفاع مكانته من جانب الأفراد؛ كما يؤثر على الأدوار التي يقوم بها الفرد في النسق الاجتماعي وفي مستوى المجتمع. (لطفی، ١٩٧٩م: ٧٦)

إنّ ما يهّمنا في هذا المجال وبالنّظر إلى شعر مطران؛ هو كلّما توغّل الحاكم في علاقته مع الحكومين متوسلاً المعطيات المتوفرة، مادياً وذهنياً، كلّما استطاع السيطرة على المجتمع بأكمله و«السيطرة هذه تفتح له مجالات جديدة بحجة الإمكانيات الشرعية والتأثير على الشعب وهكذا يُبقي كلّ المجالات مفتوحة أمام طموح الحاكم باعتباره كائناً إلهياً ومقدساً.» (أكرمي، ١٣٨٩ش: ٧ و٨) ذلك حيث ربّت سلطة الحاكم في زمن مطران، نوعاً من التفكير عند أفراد مجتمعه، على أنّها قامت بتكوين صفة التكيف مع الظروف السائدة. فقد تمّ هذا التكيف على شكل قوالب سلوكية وبناء ثقافة الفقر عند الشعب. ثمّ يشير مطران إلى هذا الفقر الثقافي عند الشعب في تلك الفترة ولا سيّما في سجوده للحاكم؛ إذ إنّ الشعب هو الذي جعل الحاكم مكانة عليا بحيث تغدو مكانته في رأس هرم البناء السياسي:

سجدوا لكسرى إذ بدا إجلالا كسجودهم للشمس إذ تتلالا...
... تستقبلون نعاله بوجوهكم وتُعفرون أذلةً أوكالا

(مطران، ١٩٤٩م، ج ١: ١٢٠)

لا يترك هذا المجال لمطران إلى هنا حتّى نجده يخطو خطوة مهمّة نحو أسباب هذه الأدوار للشعب؛ إذ نراه يذهب إلى أنّ أسبابها تعود إلى ثقافة الشعب، حيث يعزوها إلى جهل الأمة؛ ثمّ يتابع اللعن إلى هؤلاء الأشخاص الذين يخلّون الحاكم محلّ الإله كرهان للسلطة الحاكمة؛ ممّا يفرز استثمار الناس وتطويع أدوارهم في استراتيجياتها السياسية والنفعية. وممّا زاد على جهل الأمة، فهو المحاولة على جعل ايدئولوجية الحاكم مقبولة عموماً، ممّا يسبب إلى شدّ أزره وطاعته حيث إنّّه لم يقدّم بشناعة أدوار الحاكم وبشاعته إلاّ أنّها أصبحت مقبولة من جانب الشعب. ولا مفرّ له من أن يحدّد سلطة الحاكم وتقنيات أدواره الغاشمة. وكان كلّ هذه الأمور دليلاً على وشك جمود الحياة النابضة والمجتمع آنذاك:

لا سقاك الغيثُ يا جهلُ فكم
سُقيتُ في كأسك الأقوامُ مُرّاً
أنتَ أغريتَ بظلمِ كلِّ ذي
صولةٍ، غيرَ مُبالٍ أن يُعزّاً
وسعتُ أمَّ القرى ذاكَ الذي
عقَّها حمداً كما لو كان برّاً
إن يكلمه الأعزّون بها
فامتداحاً، أو يكلمهم فهجراً

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٣: ٥٨)

فينتج من هذا كله أنّ المكانة المعطاة للحاكم والتي تتحدد من خلال المركز الذي يؤدّيه في المجتمع. إذن الحاكم يدعو المحكومين إلى دعم مركز السلطة وإضفاء الشرعية لمكانته؛ ممّا يدفعنا القول إلى أنّ هناك علاقة بين مركز الحاكم ومكانته وبين مقبوليته عند الشعب؛ الأمر الذي يتيح للحاكم أن يمارس هيمنته على أفراد المجتمع ويقتضي الأول أثر الثاني في اعتبار السلطة وهي «الإمكانية المتاحة لأحد العناصر داخل علاقة اجتماعية معينة يكون قادراً على توجيهها حسب مشيئته؛» (بالاندي، ٢٠٠٧م: ٣٧) إذ إنّ الشرعية لها أثر كبير باستطاعه التأثير على سلوكيات الحاكم وأدواره تجاه الآخرين. ومما لا شك فيه هو أنّ هناك قداسة مضمرة حاضرة دائماً داخل السلطة إلا أنّها قد كرس عليها الشعب والذي يدعو إلى احترام القواعد ويحثّ على طاعتها لتؤمن الاستقرار والتوازن، كما هو الهدف المنشود في الاتجاه البنائي، الوظيفي، ولتتقي كل أشكال الفوضى المحتملة لتحافظ على مراتبية اجتماعية معينة فضلاً عن التفاوت واللاتساوق في العلاقات الاجتماعية. بما أنّ الدور يعبر في جوهره عن وصف السلوك المرتبط بالمكانة الاجتماعية للأفراد ونقصد بذلك التفاعل المتميّز بين العناصر الرئيسة في البناء الاجتماعي المحدد؛ لذلك علينا أن نتمثّل وجهاً آخر من العلاقة بين دور الشعب ومكانة الحاكم في المجتمع الذي عاش فيه مطران. وقد جعل الشاعر قسماً آخر من مجهوداته في هذه الناحية والذي يتجسّد في قصيدة «رعمسيس»

بحيث ينقل لنا صورة فعّالة عن أدوار الشعب والتي تكاد ترتبط بإحراز الحاكم مكانة اجتماعية، مسخراً أدوار المواطنين الذين يشبهون مكانة الحاكم بالشمس التي تكون في ذروة السماء ولا يخلو العالم منها:

وكيف عادوا و«رمسيس» مُقدّمهم إلى الربوع بأوساقٍ وغلمان...

إن يغدُ ربهم الأعلى فلا عجب هل من نظامٍ بلا شمسٍ لأكوان؟

(مطران، ١٩٤٩م، ج ٢: ١٧٩ و ١٨٠)

ويبدو أنّ الفكر الأنثروبولوجي هنا يكشف لنا أنّ الشمس تعتبر في رأيهم تجسيداً مادياً للقوة الإلهية و«تستخدم استخداماً سلطوياً في ساحة الممارسات السياسية والأمر هذا، يعزّز مدى مقبولية الحاكم». (فكوي، ١٣٨٥ش: ٢٨٦) ومرّد ذلك أنّ التصورات الأسطورية الراسخة في أذهان أفراد المجتمع آنذاك والتي كانت بمثابة رادع يمنعهم من مخالفة الطقوس خائفين من ثأر الآلهة. ثمّ إنّ هذا الموقف نفسه ينطوي على مهمّة وظيفية وهي أنّ السيادة والقيادة تجري من الأعلى إلى الأسفل، بينما أنّ مسار الحركة للشعب، يعني عملية الطاعة والانقياد، تجري من الأسفل إلى الأعلى.

ونحن لا نترك شعر مطران حتّى نجد أنّ قصيدته باسم "مقتل بزرجهر" تُعنى بمكانة الحاكم التي تُحرّز إثر أدوار الحكوميين وآليات إخضاعهم والتي تؤمّن طاعة الحاكم؛ حينما يعترف الشعب بأحقّيته في الحكم ويقوم بالسجود أمامه؛ هذا هو ما أدى إلى رفع مكانة الحاكم، ثمّ يؤدي إلى التقليل من مكانة الشعب أو الرعيّة في المجتمع ويسفر إلى تعزيز الحكم واستقراره:

سجدوا لكسرى إذ بدا إجلالاً كسجودهم للشمس إذ تتلالا...

عباد كسرى ماخيّه نفوسكم ورقابكم والعرض والأموالا...

ما كان كسرى إذ طغى في قوميه إلا لما خلّقوا به فعّالا

هم حكّموه فاستبدّ تحكّماً وهم أرادوا أن يصول فصّالا

(مطران، ١٩٤٩م، ج ١: ١٢٠ و ١٢١)

وما من ريب أنّ مكانة الحاكم في زمن الشاعر لا تُكتسب إلا بواسطة هذه الفكرة الرئيسة حيث تتبلور لدى الشعب بأنّ «مكانة الحاكم تعتبر من أرفع السلطات الاجتماعية، فهي تدبر أمور تنظيم العلاقات بين الجماعات العديدة والمتنوعة التي يضمها المجتمع ككل». (عزت، ٢٠٢١م: ٨١) والحق أنّ الاعتراف بالأدوار هذه والمكانة الاجتماعية للسلطة السياسية هو تأكيد لسيادة الحاكم في ذلك الزمن ثمّ أولويته على كلّ شيء.

والواضح أنّ هذا كلّه يدلّ على ما كان للشعب من أدوار اتّجاه الحاكم في الفترة التي عاش فيها مطران. ومن ينظر إلى شعره من منظار الأنثروبولوجيا الاجتماعية، يعرف أنّه يحاول أن يكون له شأن أيّ شأن في قيام الشعب بهذه الأدوار. من جهة أخرى إنّ التّطرّف في الاتّجاه البنائي، الوظيفي يؤكّد حضور هذه الظاهرة بشكل لافت؛ إذ يعتمد على «أساس الدّور المنوط بكلّ فاعل من الفواعل الاجتماعية ضمن العلاقات التفاعلية الاجتماعية في إطار خاص توازناً وانسجاماً لسلوك الفاعلين بما يؤدّي إلى اتّزان النسق الاجتماعي». (أبو زيد، ١٩٦٥م: ٧ و٨)

النتائج

بعد دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية لشعر مطران توصلنا إلى نتائج مفادها أنّ التكيّف الذي تجسّد في أدوار السّواد الأعظم من الشعب في ذلك المجتمع، قد صار خاضعاً لمجموعة من العوامل ومن أهمّها ما يعود بعضها إلى الفقر التّقافي عند آحاد النّاس. وقد برز في تبنّي ممارسات الحاكم الضاغطة والانقياد لأدواره السلطوية دون امتلاك حركة واعية للقيام بالفعل الحرّ لإصلاح الحاكم أو تغيير الظروف المتردية. والأمر كذلك بالنسبة لدور الشعب الفاعل في التّعظيم والخضوع اتّجاه الحاكم وأدواره ثمّ إضفاء الشّرعية له وهذا ما يجعله أرفع مكانةً في ذلك المجتمع. وقد رافق هذا المفهوم طاعة الرعايا المطلقة للحاكم وقد تميّز نموذج الدّور الأعلى للسلطة بهيمنة العلاقات العنيفة بين الحاكم ورعاياه وذلك بفضل قوة الأدوار المكتسبة بالطّاعة وأسلوب السيطرة الذي يصف

العلاقة الاجتماعية بتغليب إرادة الحاكم على الآخرين. ثمّ تتصل نزعة الخضوع لدى الشعب في المجتمع الذي عاش فيه مطران، بعلاقات القوة والاستبداد وبانغلاق المجتمع على بنيته الطبقية. وقد آل الأمر إلى سيادة ما يمكن تسميته بالنزعة الطبّيقية مشاراً بها إلى التملك لطبقة الحاكم ضدّ المحكوم والتوصل إلى وجود الفجوات الواسعة بين الطبقتين من خلال احتلال المكانة الاجتماعية وكذلك انفصال الشعب في تلك الفترة عن أدواره الحقيقية. ثمّ بدا لنا أنّ الطّريق الوحيد للشعب في تلك الظروف، هو الرّضوخ والاستسلام بدلاً من التّمرد أو الرّفص ضمناً لاستقرار البناء السياسي وتوازنه والذي يكون الغاية المنشودة في الاتجاه البنائي-الوظيفي.

المصادر والمراجع

١. العربية

الكتب

- أبو زيد، أحمد (١٩٦٥م)، *البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع*. ط ١. القاهرة، الهيئة المصرية.
- أحمد رشوان، حسين عبد الحميد (١٩٩٧م)، *العلاقات الإنسانية في مجالات علم الاجتماع، علم الإدارة وعلم النفس*، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
- أحمد رشوان، حسين عبد الحميد (٢٠٠٩م)، *الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي*. ط ٢. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- بالاندية، جورج (٢٠٠٧م)، *الأنثروبولوجيا السياسية*، ترجمه: علي مصري، ط ٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- تيماشيف، نيقولا (١٩٨٠م)، *نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها*، ترجمه: محمد عودة والآخرين، ط ٦، القاهرة، دار المعارف.
- الجباوي، علي (١٩٨٢م)، *الأنثروبولوجيا الاجتماعية*، دمشق، جامعة دمشق.
- حجازي، محمد فؤاد (١٩٧٩م)، *البناء الاجتماعي*، القاهرة، دار الغريب.
- الحوات، علي (١٩٩٨م)، *النظرية الاجتماعية، اتجاهات أساسية*، مالطا، منشورات فالينا.
- زكي، عبدالرحمن (١٩٦١م)، *حضارة عصر النهضة (مجموعة محاضرات مترجمة)*، القاهرة، دار النهضة العربية.
- السهنوري، عبد المنعم يوسف (٢٠٠٩م)، *خدمة الفرد الإكلينيكية نظريات واتجاهات معاصرة*، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
- عزت، عبدالعزيز (٢٠٢١م)، *السلطة في المجتمع*، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- كريب، أيان (١٩٩٩م)، *النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس*، ترجمه: محمد حسين غلوم، الكويت، عالم المعرفة.

لظفي، عبد الحميد (١٩٧٩م)، *الأنتروبولوجيا الاجتماعية*، ط ٤، القاهرة، دار المعارف.
 لينتون، رالف (١٩٦٧م)، *الأنتروبولوجيا وأزمة العالم الحديث*، ترجمة: عبد الملك الناشف، بيروت، المكتبة العصرية.
 مطران، خليل (١٩٤٩م)، *ديوان الخليل نظم خليل مطران*، الجزء ١-٣، القاهرة، دار الهلال.
 ناصف، عبدالله (١٩٨٢م)، *السلطة السياسية، ضرورتها وطبيعتها*، القاهرة، دار النهضة العربية.

٢. الفارسية

فكوهي، ناصر (١٣٨٥ش)، *پاره‌های انسان‌شناسی*، مجموعه مقاله‌های کوتاه، نقدها وگفت وگوهای انسان شناختی، چاپ اول، تهران، نی.

الرسائل والأطروحات

إيران پتوهی، امیر (١٣٨٩ش)، *بررسی شعر داستانی در دیوان خلیل مطران*، پایان‌نامه کارشناسی ارشد، تبریز، ایران: جامعة تبریز.

سليمان العيادية، عاطف خلف (٢٠١٢م)، *الاتجاه الإنساني في شعر خليل مطران*، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة.
 صلعي، سهام؛ غمراني، يسرى (٢٠٢٠م)، *تجليات الأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة*، مذكرة الماستر، الجزائر: جامعة قلمة.

غلامي، نازيلا (١٣٩٠ش)، *بازتاب زندگي مردم در شعر محافظين: احمد شوقي، خليل مطران وحافظ ابراهيم*، پایان‌نامه کارشناسی ارشد، ایران، دانشگاه تربیت معلم آذربایجان.

المجلات

أكرمي، مير جليل (١٣٨٩ش)، «بررسی تحلیلی رابطه دو اسطوره همسان فرّ کيانی و همای پادشاهی»، *نشریه دانشگاه تبریز*، سال ٥٣، صص ١-٢٠.

جعفری، شهلا وآخرون (١٤٠١ش)، «مظاهر الأنتروبولوجيا الاجتماعية في قصيدة "مقتل بزرجهر" لخليل مطران»، *مجلة اللغة العربية وآدابها*، السنة ١٨، العدد ٤، صص ٤٢١-٤٤٢.

عبدالسعدي، شاکر محمود؛ هبة، أحمد سالم (٢٠٢٠م)، *الاتجاه الاجتماعي في الشعر القصصي عند خليل مطران والشاعر القروي*، *مجلة مداد الآداب*، العدد ٢٠، صص ١٥٥-٢٠١.

عرب يوسف آبادي، عبدالباسط (٢٠١٨م). «جدلية السلطة والشعب في مسرحية (حكايات الملوك) لممدوح غدوان». *مجلة الكلية الإسلامية الجامعة*. العدد ٤٧. صص ٢١٧-٢٣١.

قاسمي، ناصر؛ زين العابدين، فرامرزي (١٣٩٦ش)، «الشعر القصصي عند خليل مطران في مرآة النقد الاجتماعي»، *مجلة أدب عربي*، السنة ٩، العدد ١، صص ٢٣١-٢٤٨.

Foucault, Michel. (1980). **Truth and power**. Inc. Gordon (ed) power, knowledge selected inter views and other writhing: Harvester, Brighton.

Merry, S.E. (2005). **Anthropology and activism**: researching human rights across porous boundaries: Political and legal Anthropology Review 28, Pp 24– 57.

Sources and references:

Arabic books:

- Abu Zaid, Ahmad (1965). **Social construction, an introduction to the study of - society**. 1st edition. Cairo: Egyptian Authority.
- Ahmad Rashfan, Hossein Abdel Hamid (1997), **Human Relations in the Fields of Sociology, Management Science and Psychology**, D-I, Alexandria: Modern University Office.
- Ahmad Rashfan, Hossein Abdel Hamid (2009), **Anthropology in the theoretical and applied fields**. 2nd edition. Alexandria: University Knowledge House.
- Balandiya, George (2007), **Political Anthropology**, translated by: Ali Masri, 2nd edition, Beirut: University Foundation for Studies and Publishing.
- Al-Hawat, Ali (1998), **Social Theory, Basic Trends**, Malta: Valetha Publications.
- Cribb, Ian (1999), **Social Theory from Parsons to Habermas**, translated by: Muhammad Hussein Ghuloum, D-I, Kuwait: World of Knowledge.
- Ezzat, Abdulaziz (2021), **Authority in Society**, Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misria.
- Linton, Ralph (1967), **Anthropology and the Crisis of the Modern World**, translated by Abd al-Malik al-Nashif, Beirut: Modern Library
- Lotfy, Abdel Hamid (1979), **Social Anthropology**, 4th edition. Cairo: Dar Al-Maaref.
- Mutran, Khalil (1949). **Diwan Al-Khalil** in 3 Volumes . Cairo: Dar Al-Helal.
- Nassef, Abdullah (1982), **political power, its necessity and nature**. D-I, Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
- Timashef, Nicholas (1980), **Sociological Theory**, Its Nature and Development, translated by: Muhammad Odeh and the others, 6th edition, Cairo: Dar Al-Maaref.
- Al-Jabbavi, Ali (1982), **Social Anthropology**, D-I, Damascus: Damascus University.
- Hejazy, Muhammad Fouad (1979), **Social Construction**, Cairo: Dar Al-Gharib.
- Zaki, Abdul Rahman (1961), **Renaissance Civilization** (a collection of translated lectures), Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
- Al-Sahnoury, Abdel Moneim Youssef (2009), **Individual Clinical Service, Contemporary Theories and Trends**, Alexandria: Modern University Office.
- ### Persian books:
- Fakohi, Nasser (1385), “**fragments of Anthropology**”, first chapter, Tehran: flute.

Theses:

Iran pazhohi, Amir (1389), **Persian of Dastani's Poetry in the Diwan of Khalil Mutran**, Master's thesis . Iran: Tabriz University.

Suleiman Al-Ayida, Atef Khalaf. (2012). **The humanistic trend in the poetry of Khalil Mutran**, Master's thesis, Mutah University.

Salie, Saham; Ghamrani, Yousra (2020), **Manifestations of Cultural and Social Anthropology in the Novel The Wind of the South by Abdel Hamid Ben Hadouqa**, Master's Notebook, Algeria: Guelma University.

Qolami, Nazila (1390), **reflection of Mutran life in conservative poetry: Ahmad shoqi, Khalil Mutran & Hafez Ebrahim**. MA Theses, Tarbiat moaalem Azarbajejan University.

Journals:

Abdel Saadi, Shaker Mahmoud; Heba, Ahmed Salem (2020), The social trend in narrative poetry according to Khalil Mutran and the poet Al-Qarawi, **Madad Al-Adab Magazine**, issue 20, pp. 155-201.

Akrami, Mir Jalil (1389), "An analysis of the link between the same myth of splendor Kiani and the glory of the kingdom . **University Tabriz Publishing House**, vol. 53, pp. 1-20.

Jafari, Shahla & the Others (1401), Aspects of Social Anthropology in the ode of "Bozorgmehr's Murder by Khalil Mutran'. **Journal of Arabic Language and Literature**. Year 18. Issue 4. Pp421-442.

Ghasemi, Nasir; Framrzi, Zine El Abidine(1394), The Fictional Poetry of Khalil Mutran in the Mirror of Social Criticism. **Arab Literature Magazine**. Tehran. 9 th. Pp:231-248.

انسان‌شناسی اجتماعی کارکرد ملت در شعر مطران

نوع مقاله: پژوهشی

سید فضل الله میرقادری^۱، حسین کیانی^۲، شهلا جعفری^{۳*}

^۱استاد گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، ایران، شیراز
^۲دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، ایران، شیراز
^۳دانش‌آموخته دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، ایران، شیراز

چکیده

ادبیات با جامعه و برساخته‌های اجتماعی آن از جمله رفتار و کارکردهای افراد پیوند تنگاتنگی دارد. بنابراین اثر ادبی نه تنها آفرینش هنری محض، که فعالیتی انسانی با کارکردی اجتماعی به شمار می‌رود. توجه به نقش ادبیات در باز آفرینی، نقد و نیز پویایی آن در ارتباط با جامعه، این کارکرد را بیش از پیش نمایان می‌سازد. زمانی که انسان‌شناسی اجتماعی به تحلیل کارکرد انسان‌ها و روابط اجتماعی آنها در قالب ساختاری خاص مانند سازمان سیاسی، مذهبی، نظام خانواده و دیگر نظام‌ها می‌پردازد؛ به موازات آن ادبیات برساخته‌ای انسانی است که جامعه و کارکردهای اجتماعی افراد را به تصویر می‌کشد. چنین رهیافتی زمینه‌ای مناسب برای پژوهشگران انسان‌شناسی فراهم می‌آورد تا دانشی ژرف نسبت به ساختار جامعه و کارکردهای اجتماعی افراد به دست آورند. این امر از دید خلیل مطران پنهان نماند؛ به گونه‌ای که به مسائل مربوط به جامعه و رفتار اجتماعی انسان پرداخت. در این راستا مقاله حاضر با تکیه بر روش نقیج اجتماعی و در پرتو تحلیل محتوای کیفی به بررسی انسان‌شناسی اجتماعی کارکرد ملت در شعر مطران می‌پردازد. مهم‌ترین یافته‌های پژوهش بیانگر آن است که کارکرد ملت در جامعه‌ای که مطران از آن سخن رانده است، به دلیل ترس و جهل آنان به شکل قرار گرفتن در دایره سلطه فرمانروا نمایان شده است. این امر سبب بالا رفتن جایگاه اجتماعی و افزایش مشروعیت وی شده است. از سوی دیگر آنان نه تنها اراده‌ای جهت در پیش گرفتن رفتار ناسازگارانه یا تغییر واقعیت نداشتند؛ بلکه به سازگاری با وضع موجود اقدام نمودند که این امر توازن نظام حکومتی رایج در آن زمان را به دنبال داشت.

کلیدواژه‌ها: انسان‌شناسی اجتماعی، کارکرد، جایگاه، ملت، خلیل مطران.